الهيرومينوطيقا من إشكالية الفهم والمنهج

الأستاذة: بن ناصر حاجة
جامعة ابن خلدون تيارت

إن مسألة إيجاد الحقيقة تفرضها التحولات الكبرى التي يشهدها العالم، و ما تمر به التجربة الإنسانية على شتى الأصعدة، وما تقتضيه تلك التحولات من ضرورة وعي للرهانات الجديدة و التكيف مع المستجدات بشكل عقلائي و صقل لشوائب الحقيقة، مادام الإنسان قادرا على التأثير في الطبيعة و العالم من حوله و على تغيير أوضاعه، و قد وجد الإنسان ضالته في الفلسفة باعتبارها تفكيراً نقدياً، بل استمراريتها ومستقبلها مرهون بكشفها للمواقف و التجارب الإنسانية التي عايشها المرء، ومسائلها لمختلف الأوضاع الاجتماعية والواقعية، فلقد كانت الفلسفة في القرن العشرين بأمس الحاجة إلى حل سحري يخلصها من انسداد الأفق الذي تسببت فيه العقلانية الأدائية و النزعة الوضعية، و تغلغل المنهج العلمي، في نظرنا للعالم وللإنسان، بأبعاده المختلفة، هذا و شكلت إشكالية المنهج الهاجس الكبير الذي ظل يلاحق تفكير العديد من الفلاسفة و يطارد تصوراتهم بدءاً من ديكرت المؤسسة الفعلي لفكرة المنهج و الذي أراد تأسيس منهج فلسفي على شاكلة المنهج الرياضي و إقامة العلم و الفلسفة على أسس يقينية و مبادئ أولية لا يشوبها شك رافضاً الأحكام المسبقة و التي سيدرجها الفيلسوف الألماني صاحب المؤلف الضخم "هانس جورج غدامير" ضمن الهيرومينوطيقا و ضمن فلسفته التأويلية باعتبارها الفضاء الخصب و المسلك النافع لفهم النصوص و كذا العلوم الإنسانية أو كما يسميها "دلتي ويلهام" علوم الروح.

فالفلسفة المعاصرة تدين لغدامير بالإنجاز العظيم الذي أنجزه من خلال مشروعه الهيرومينوطيقا، و الذي أرمى محطاته و دعائمه الأولى "مارتن هيدغر". و اذا كانت الهيرومينوطيقا سلاح العقل و محرك الفهم، فان الإنسان بحاجة ماسة إليها لكشف مضامين النصوص المقفلة و الملتبسة المعنى و انتشارها من كل غموض يشوبها فما المقصود إذا بالهيرومينوطيقا، وما هي الأسس التي تقوم عليها، و هل هي طريقة لقراءة مختلف النصوص أم منهج معتمد للقراءة و البحث كبقية المناهج الأخرى؟ و ما الذي يميز هيرومينوطيقا غدامير عن سابقه و معاصريه.

بادئ ذي بدء قبل الإجابة عن هذه التساؤلات لابد من التعريف بواحد من أهم أعمدة الفلسفة الألمانية. فمن هو اذن هانس جورج غدامير؟

• التعريف بهانس جورج غدامير: ولد في 11 فبراير 1900 في بريسلو درس في جامعة ماربورغ الفلسفة، تاريخ الفن، التاريخ، و الأدب الألمانية، تابع دروساً في الثيولوجيا، و الفلسفة الاغريقية. ثم تذوق جمالية اللغة السانسكريتية، الاستشراق، و علم الموسيقى، ثم بدأ بحفر في كل العلوم الإنسانية التي سيكون منظرها لاحقاً^[i] تتلمذ على يد كبار الأساتذة مثل نيكولاي هارتمان و "ريتشارد هونقرفيدل" و بول ناتورب كتب أطروحته بعنوان "ماهية اللذة في المحاورات الأفلاطونية" و عمره لم يتجاوز 22 سنة، تحت اشراف و تأطير "بول ناتوب"، و في سنة 1923 توجه الى جامعة فرايبورغ لمتابعة دروس و محاضرات مارتن هيدغر و الفينومينولوجيا على يد هوسرل، و سيجني هذا اللقاء و هذا التوجه ثماره في مؤلفه الشهير "الحقيقة و المنهج" مستلهما تأويليته من تأويلية هيدغر الأنطولوجية، و التي وجدنا فيها مفاهيم فكرية هامة. و اعتبرت هيرومينوطيقا غدامير نقطة هامة و أساسية في اسهاماته الفلسفية في العلوم الإنسانية، و غيرها، و في سنة 1931 نال شهادة التأهيل الجامعي و كان بحثه دوماً حول الفلسفة الأفلاطونية بعنوان "أخلاقية الجدل عند أفلاطون".

عمل غدامير محاضراً فخرياً في هايدلبرغ و زمالته "كارل ياسبرس" و "كارل لوفيت" و الخيط الناظم لهذه السيرة هو البحث عن مصادر التأويل الفلسفي، و التشديد النظري للهيرومينوسيا أي التأويل لا بوصفه آلية لمقاربة النصوص فقط بل بوصفه الدعامة الحقيقية للتعبير عن كينونة متناغمة، كما شغل منصب أستاذ زائر بالعديد من الجامعات الأوروبية و الأمريكية^[ii].

قرر غدامير الالتزام و اعتزال الكتابات التي تصب في المجال السياسي بصعود الحكم النازي في ألمانيا، مفضلاً البقاء فيها على قيد الحياة بدل الهجرة إلى أراضي المنفى أو الموت. توقفت أعماله الخاصة بالدولة من منظور أفلاطون و السفسطائيين سنة 1960 صدر له أهم كتاب "الحقيقة و المنهج" و هو يناهز تقريباً ستون سنة، كتاب ضخيم يتكون من ثلاثة أبواب ففي الباب الأول خصه

الحديث عن الفن الذي يحتل مركز الصدارة في هيرمينوطيقا غدامير، باعتبارها فنا للفهم، و بين كيف تبدو الحقيقة من منظار فني و جمالي، و دور التراث في الفهم الإنساني، أما في الباب الثاني تحدث فيه عن مسألة الفهم في العلوم الإنسانية متعرضا التأويلية الرومانسية و "لشلاير ماخر"، و هوسرل و هيدغر مارتن، و في الباب الثالث انتقل إلى الجانب اللغوي على أساس أن اللغة هي الوسيط في العملية التأويلية، توفي غدامير سنة 2002 عن عمر ناهز قرن و سنتين من العطاء الفكري و العلمي. خلف العديد من الترجمات إلى لغات أجنبية و عربية:

(1) أهم مؤلفات غدامير المترجمة الى اللغة العربية:

1- تجلي الجميل، تر: سعيد توفيق، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1997

2- فلسفة التأويل، تر: محمد شوقي الزين، الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت

3- بداية الفلسفة، تر: علي حاكم صالح و حسن ناظم، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت 2002

4- طرق هيدغر، تر: حسن ناظم، علي حاكم صالح، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت 2007

5- الحقيقة و المنهج، تر: حسن ناظم، علي حاكم صالح، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت 2007

(1) أهم مؤلفات غدامير المترجمة الى اللغة الفرنسية:

Paris 1963، 1- le problème de la conscience historique

révision de Paul، traduit de l'allument par Etienne sacre، 2- vérité et méthode : les grands lignes d'une herméneutique philosophique . Paris 1976. Edition du seuil. Ricœur

traduit de l'allemand Mariana Simon introduction de Pierre، 3- l'ard de comprendre : herméneutique et tradition philosophique Editions Aubier Montaigne Paris 1982. Fruchan

traduit par Elfie Poulain Aliné Paris 1992. 4- L'actualité du beau

. traduit par Jean Gandin Ed : P.V.F Paris 1996. 5- La philosophie herméneutique

. Paris 2005، Ed : Vrin، traduit par Jean Grandin. 6- L'herméneutique en rétrospective

بالإضافة الى كتب أخرى:

4- Herméneutique

تعريف الهيرمينوطيقا:

تاريخيا كانت تطلق على النصوص الهوميرية في القرن سادس ق.م و في تأويلات الكتب المقدسة عند اليهود و النصارى اهتمت الهيرمينوطيقا بتأويل النصوص الدينية لذلك اهتمت بالقراءة المشروعة للنص المقدس بشرح و تفسير معانيه و تحديد تطبيقاتها عمليا في الحياة، فالهيرمينوطيقا تعنى بتأويل النصوص و عمليا و واقعا^[iii]

-فتتبع مسار الهيرمينوطيقا تاريخيا، يدل على أنها ارتبطت بتفسير النصوص الدينية القديمة، على اساس ان النصوص الدينية تحوي معاني خفية بحاجة الى المزيد من الفهم و البحث العميق لاستنطاق المعنى " ذلك ان المقاربة الاتمولوجية للهيرمينوطيقا ما هي العلم الذي قوم بتحديد المعاني الأساسية لتأويل النصوص و بخاصة الدينية منها، و بما هي ايضا فن الفهم و التأويل و ما يتبعه من شرح و تفسير و بحث في اغوار المعاني و الدلالات نعرض استكشاف ما هو خفي و استنطاق ما هو صامت^[iv]. ثم امتد نطاق التأويل ليشمل علاوة على النصوص الدينية كل نص انتجه الانسان سواء كانت نصوص منطوقة او مكتوبة أو سلوكيات أو أفعال باعتبارها نصوص تعبر عن مقاصد و نوايا و ثقافة، لتتسع الى تأويل الايماءات و العواطف و الغرائز، اي كل ما يستدعي تفسيرها و شرحا.

ويعتبر شلايرماخر (1767-1834) الفيلسوف الذي يعزى اليه الفضل في نقل التأويل من صبغته الدينية الى صبغته الفلسفية، لقد استطاع ان يحرر التأويل من قبضة و سجن اللاهوتيين الى حقل الفلسفة، فكل نص سواء كان دينيا ، تاريخيا، فلسفيا... قابل للفهم. و الهيرمينوطيقا تعمل على تجنب سوء الفهم " اي اننا معرضين تلقائيا لسوء الفهم اكثر من كوننا نفهم بكيفية صحيحة و مناسبة خصوصا اذا تقدم النص في الزمن و صار اكثر غموضا و التباسا بالنسبة الينا و من هنا كانت الحاجة الى تأسيس علم او فن التأويل يعصمنا من سوء الفهم^[v] ".

واتخذت الهيرومينوطيقا منحى اخر مع " ولهام دلتاي" Wilhem Dilthey (1833-1911). فهي تعني بالنسبة اليه الفهم لا التفسير، مقيما حدا فاصلا بين المفهومين اعتبارا منه ان التفسير يخص العلوم الطبيعية المادية ، اما العلوم الروح كما يسميها اي العلوم الانسانية تستدعي الفهم " الطبيعية نفسرها و علوم الروح نفهما"^[vii].

فالنقلة النوعية للهيرومينوطيقا تعود الى دلتاي معتبرا اياها منهجا للعلوم الانسانية معارض النزعة الوضعانية في توحيدها للمنهج العلمي، كمنهج للعلوم المادية و علوم الفلك، فالاختلاف بين العلمين في نظره واضح و يفترض ايجاد منهج مخالف يتماشى و خصوصية و طبيعة علوم الروح.

ويختلف مسعى غدامير عن مسعى شلايرماخر ، و كذا دلتاي داعيا الى ضرورة تخليص عملية الفهم من الطابع النفسي الذي رسمته تأويلية شلايرماخر، و رافضا القول بفكرة المنهج لدلتاي، اعتقادا منه ان الحقيقة تتجاوز فكرة المنهج و على هذا الاساس ينبغي تحديد ملامح و اسس هيرومينوطيقا غدامير ، فماذا يقصد بها؟
تعريف الهيرومينوطيقا:

يقصد غدامير بالهيرومينوطيقا فن الفهم، انها فن الفهم النصوص بعيدا عن الصرامة المنهجية ملتفا بالتجربة المعيشية التي يمر بها الانسان، فاذا كان هيدغر اعتبر الفهم نمط وجود، فان غدامير حدد شروط الفهم مستفيدا من تساؤل كانط كيف يكون الفهم ممكنا؟

" ينبغي على كل تأويل صحيح ان يتجنب اعتبارية القرارات الطائشة و التحديدات التي تفرضها عادات الفكر المترسخة، و يوجه انتباهه الى الاشياء نفسها باعتبارها نصوصا سديدة من منظور الفيلولوجي و التي تعالج بدورها الأشياء نفسها"^[viii].

لقد شكلت هيرومينوطيقا هيدغر الانطولوجية نقطة ارتكاز قوية لهيرومينوطيقا غدامير، انها محاولة لفهم وجود نافي في هذا العلم، فهم الذات المثقلة بالأحكام المسبقة فهي لا تستطيع ان تحدث اي احتكاك بالوجود اذا لم تأت بكل ما لديها من عقل و روح و جسد و ذات و عواطف، و شعور و غيرها، اي بكل خصائصها الذاتية و الموضوعية ، الفردية و الاجتماعية الواقعية، لكنها ذات متناهية تسير الى العدم مع هيدغر، فالإنسان مسترجع للموت، وجد من اجل ان يموت ك لحظة نهاية. هذه النهاية في نظر غدامير تخص الحياة لا تخص الفهم. فهو بهذا يستعيد و يحيي الذات المهمشة المسلوقة من قبل العقل التنوير و العقل الغربي " ان المؤول من خلال محاولة فهمية للنص، لا يرى في تصور غدامير وحدة المعنى، التي يملكها النص، لهذا مجده يبدأ بمفاهيم مسبقة بمعنى اخر مفاهيم حدسية غير ناضجة، هذه الاخيرة و باستمرار ضرورة هذا الفهم ، سيعوضها هذا المؤول بمفاهيم أكثر وضوحا، و أكثر دقة اي مفاهيم علمية"^[viii].

ويشترط غدامير وجود متحدث كي يكون الفهم ممكنا و هكذا استطاع ان يسلط الضوء على خاصية جوهرية في الممارسة التأويلية و هي التواصل بين الذوات. اي ضرورة وجود ذات مقابلة للانا، بوجودها الفعلي، لا بوجودها الموجود، و سعيا في إرساء ثقافة الحوارين الذوات و استعادة الذات الإنسانية المقصية من قبل الحركة التنويرية و العقلانية الغربية، حمل غدامير على عاتقه دور المخلص المنجي لهذه الذات أملا ان يعيد لها ما سلب منها " لان الذات التي فوضناها مع مشروع الميتافيزيقا التقليدية، كانت ذات تجريدية، تقف قبالة موضوع تجريدي هو الآخر"^[ix].

وهو ل غدامير على مبدأ التسليم بوجود ذوات قادرة على الفهم، فهم لما يحدث في العالم، انطلاقا من الجدل الحواري، لا الجدل الهيجلي، في بحثه عن المطلق لان نظريته التأويلية تهدف الى اقامة الحوار مع الذوات و مع النصوص و التراث لا البحث عن المطلق. غير انه لا ينبغي ان نفهم ان غدامير يرفض الجدل بل اعتبره اساسا للعملية التأويلية و للفهم بين المتحاورين، مما يوحي بأهمية الحوار كنص منطوق على حساب النص المكتوب، و هذه البنية الحوارية للفهم مستقاة من الحوار السقراطي." و يلتفت الانتباه هنا الى ان أهمية الجدل انه يتحقق فعلا خلال صيغة الحوارين السائل و المسؤول و لذلك يفضل نص الحوار الانساني على اي نص عقلائي مكتوب. ليس لكون الاول يعبر عن جدل حي فحسب، بل لان المشاركة بين اكثر من فرد و فكر واحد يعطي مشروعية اساسية للبحث عن الحقيقة التي تصبح هما معرفيا، تنشغل به ذوات إنسانية تعاني قلق الكينونة"^[x]. فمقصد الهيرومينوطيقا مقصد اخلاقي يبحث عن ممكنات التفاهم بين الانا و الاخر، و العيش معه و من اجله، فالتفاهم بين الذوات، او بين القارئ و النص لا ينبغي ان يهمل او يلغى ذاتية الغير، فالإنسان ما هو الا جملة من الاخلاق عليه بلوغ الفضيلة التي دعا

الهما سقراط، رغبة في بلوغ حياة الخير مع الغير انطلاقا من التواصل مع الآخر دون فقدان هويته او انسانيته، انه يوسع دائرة الفهم من الوجود هنا الى الوجود مع الآخر.

والحوار هو ركيزة الفهم لذلك يرجع غدامير الى سقراط الذي أرسى دعائم السؤال. ولأن الإنسان الذي سال هو الذي يريد الفهم ، فالحقيقة تكمن في طرح التساؤل ، بل في امتلاك فن السؤال و تأويل النصوص، سواء كانت مكتوبة او منطوقة، انما تعني طرح تساؤل على ذلك النص، و اتقان طرح السؤال انما يعني فهم للنص، و الجواب عن السؤال هو تفسير للنص، فالسؤال يعني الانفتاح الدائم على الآخر، و على النص، و على العالم، لإنتاج عملية الفهم" و هكذا تعود الى النتيجة القائلة ان الظاهرة التأويلية تدل ضمنا ايضا على اولوية الحوار، و على بنية السؤال و الجواب، فالنص التاريخي الذي يصير موضوعا للتأويل يعني انه يطرح على المؤول سؤال، لهذا يتضمن التأويل دائما علاقة بالسؤال الذي طرح على المؤول، و يعنى فهم النص، فهم هذا السؤال و لكن هذا يحدث كما بينا من خلال احرازنا افقا تأويليا، و نحن نميز الان هذا الافق بانه افق السؤال الذي في داخله يتقرر معنى النص^[xii] ، لنصل في النهاية الى ماذا يقال في النص و ما الذي نقوله عن النص.

و فضلا عن بنية السؤال يبدو لنا الحوار عملية تبادلية تعاكسية ، فعملية الفهم و السؤال لا تسير في الاتجاه واحد من الانا الى الآخر نصا كان او ذاتا بل تسير ايضا المعاكس من الغير الى الانا لكن الدور الاكبر الجواب يمنح لمن يفتح الحوار و يبادر الحديث، و يتوجه للانفتاح على الآخر، و هو الحوار الحقيقي و المحادثة النموذجية التي تتم بين ذات و ذات اخرى بكل ما تحمله من هموم و انشغالات و ليست محادثة الانسان للآلهة و في هذا يختلف مع هايدغر " هذا الاخير الذي يهتم بالمحادثة (الحوار) بين الآلهة و البشر التي هي محادثة مقدسة و بيينة و حتى شعرية^[xiii] .

ولا يمكن فهم الحوار او النص او التراث حسب غدامير من دون لغة فقد ساهم في رد الاعتبار الى اللغة، لا بوصفها رابطة اجتماعية بين الافراد بل هي الوسط الذي يحدث فيه التفاهم و لا تفاهم الا اذا تم الاتفاق بين الذات حول معنى معين ، فانفتاح الانسان على العالم يتم من خلال وسيط اللغة، و الوجود الممكن ادراكه و فهمه هو اللغة، و لان الانسان دوما في حالة حوار مستمر سواء كان حوارا ذاتيا مع نفسه او مع الآخرين، و يعني ذلك ان اللغة ليست ذلك الكلام المنطوق او المكتوب وانما تتمثل ايضا في اللامعبر و اللامسكوت عنه " و عليه فالقول بان اللغة هي في الاصل انسانية يعني في الوقت نفسه ان وجود الانسان في العالم و هو وجود لغوي اساسا، و سوف يتعين علينا ان نبحت في العلاقة بين اللغة و العالم من اجل ان نحزر افقا ملائما لحقيقة ان الخبرة التأويلية لغربية من حيث طبيعتها^[xiv] .

و من شروط الحوار ان لا يدعي كل المتحاورين او احدهم الحقيقة، او ان يستحوذ على المحادثة او التحكم فيه بسلطة عليا، و انما ينبغي ان يبني على الاتفاق بين المتحاورين ضمن اللغة، و على انفتاح كل ذات على الذات المقابلة لها من خلال عملية المحادثة، فالحقيقة هي ما تم الاتفاق حولها " النموذج الرئيسي لكل تفاهم هو الحوار، نعرف ان الحوار مستحيل اذا استحوذ احد شركاء هذا الحوار و بشكل مطلق على المكانة او الوضعية الراقية مقارنة مع الآخرين، عندما يزعم مثلا امتلاك معرفة مسبقة حول الاحكام القبلية، التي يصبح فيها الآخر اسيرا^[xv] .

و فضلا عن الحوار يشترط التأويل الاحكام المسبقة، فالفهم لا يصل الى ذروته الا من خلال الاعتماد على اراء قبلية، ينتقي منها المؤول ما يعينه على الفهم و هي ضرورة للوصول الى المعنى المقصود من التعبير، و هي مفاهيم غير مبررة متوارثة عن الاجيال و شكلت الاحكام المسبقة نقطة اختلاف فكري بين غدامير و العديد من الفلاسفة. فغاستون باشلار، يرى انه للوصول الى الحقيقة العلمية، ينبغي رفض الاحكام المسبقة كونها غير مبررة علميا، فهي تقف كعائق ابستيمولوجي امام الحقيقة و امام الفهم باعتبارها اراء مستوحاة من الراي العام، و من جهته يؤكد هابرماس ان الاحكام المسبقة نشوة فعل التواصل، و تحمل في طبيعتها دفائن الايديولوجيا و اوهام السلطة، و قد رفضها قبل هؤلاء فلاسفة الانوار من بينهم "ريني ديكار" ، فالمعرفة العلمية ، و الحقيقة الموضوعية ، هي المعرفة الخالية من الحكم المسبق، الى جانب ايدموند هوسرل الذي دعا الذات المدركة لفهم الموضوع او الظاهرة كما توجد في الواقع، و في الشعور من دون الاحتكام الى حكم مسبق

" باي حال هناك سؤال حاسم في الواقع يخفيه مفهوم التحيز، فالقول ان الاحكام المسبقة التي تحدد ما افكر فيه، احكام ناشئة عن تحيزي الخاص، هو قول يستند الى وجهة نظر تنويرية^[xvi] ، و منه نفهم ان الحكم المسبق هو المنظم للعملية التأويلية و يتوقف الفهم من دونه حسب غدامير و ردا على الانوار ميز بين الاحكام المسبقة المشروعة و غير المشروعة التي تحول بيننا و بين

فهم النص. اذ لا بد من التمييز حسبه بين السلطة وبين نفوذ السلطة، بين متى تكون السلطة مصدر حكم مشروع و متى تكون غير ذلك، فعصر التنوير، بدفاعه عن الحرية، و عن العقل نظر الى السلطة نظرة سلبية و شوه سمعتها فهي المناقض للعقل و الحرية معا، بل ان السلطة مصدر احكام مسبقة حقيقية في بعض الاحيان، فلا ينبغي الاخذ بتصوير على ان السلطة تعني الخضوع و الامتثال للأوامر، و انما تقوم على الاعتراف و المعرفة " تستند السلطة الى الاعتراف، و بذلك تستند الى فعل العقل، الذي يعي حدوده فيثق برؤية الآخرين الافضل، و بهذا المعنى، فان السلطة مفهومة على نحو صحيح، ليست ذات علاقة بطاعة الاوامر، فالسلطة عليها في الحقيقة، الا تكون ذات علاقة بالطاعة انما بالمعرفة^[xvii].

و ينبغي الإشارة الى ان الاحكام المسبقة توقع المؤول في الخطأ لأنها لم تخضع لاثبات او اختبار و مهمة الفهم تفرض على المؤول وضع خطط لانتقاء الاحكام المسبقة المشروعة انطلاقا من عملية التساؤل حول مشروعيتها و اصلتها و انطلاقا من مقارنة الحكم المسبق للسياق الذي يتواجد فيه النص فمشروعية الحكم المسبق تعني اخضاعها للرقابة من اجل الوصول الى الحقيقة و الى وحدة المعنى " اذن تعمل حركة الاصلاح على بعث تأويلية مزدهرة تعلمنا الاستخدام الصحيح للعقل في فهم النصوص التراثية^[xviii]. و يقصد بالتراث مجموع العادات و التقاليد و الاعراف طبقت عن طريق النقل المتوارث من جيل الى جيل، و لا وجود لأسباب تفرض سلطتها على الفهم و تمارس بحرية، و مع ذلك السلطة التي ينبغي ان تفهم هي سلطة التراث، انه يسمح لنا بالمحافظة و الاطلاع على ما جاء به الماضي، و يجعل الانسان من خلال عملية الفهم يعيش في الحاضر و التواصل مع التراث يجعل عملية الفهم تستنطق ما لم يقله الماضي و ما لم يبح به " انه دعوة سرية لإحياء طقوس المشاركة مجددا، مع كل من يحس نداء التراث، ينبع من ذاته اولا ليتشخص قبالة وعيه، و يصير الانت، يصير الآخر، الذي هو الانا في لحظة دون الأخرى، و لكنه الانت القابل للحوار، الذي ينتظر حتى تحدثه، انه منتظر سؤالك^[xviii] و معنى ذلك ان التراث لا يحمل إجابات للأسئلة المطروحة ذهنيا، بل يجب تطويعه و تسخيره ليتماشى مع الحاضر، فالحقيقة اذن تعني انصهار افق الحاضر و الماضي هي نتيجة هذا التعايش بين ما سبق و ما هو راهن، " تجيب فلسفة التأويل عبر ممثلها غدامير ان الحقيقة تبعا لدلالاتها الإغريقية كشف و ايضاح عبارة عن اشارة في الوقت نفسه محايدة. لفاعلية الوظيفة التاريخية للتراث و واقعية التساؤلات لقوى الحاضر، تعبر عن نقطة تقاطع وانصهار افاق التراث في فاعليته و الحاضر في واقعيته، اي في ارادة الفهم و اتिका التفاهم^[xix].

ان الاهتمام بالتراث و الارتكاز عليه كشرط و تعامل أساسي في العملية التأويلية هو ما يشكل الوعي التاريخي لدى المؤول. ذلك ان التراث لا يرتبط بالفرد و إنما بالكل و لا هو ذاتي، و لا موضوعي و انما متحد بكيونة الإنسان، التي تجعل هذا التراث لا يفهم من دون فهم الجود الإنساني و من ثم فان تأكيد الوعي التاريخي يتم من خلال خصوصية و غنى التراث، فالتاريخ يشكل كلا متصلالا ينقطع و الماضي هو السبيل لفهم الحاضر، ليس من اجل تكراره و انما استحضاره باعتباره مكمل لكيونة الذات و الوجود في العالم.

و على هذا الأساس يرفض غدامير مطالبة النزعة الوضعية و المنهج العلمي الصارم التخلي عن النوازع الخفية و الاحكام المسبقة و كل ما يتعلق بالتراث باعتبارها عوائق امام التجربة العلمية متجاهلين تاريخ العلم و تاريخ الفكر الانساني و من هنا يطالب غدامير و يدعوهم الى ضرورة الاستنجاد و الاحتكام الى هذه الاحكام و ما يتعلق بالتاريخ لدفع العلم نحو التقدم ايمانا منه بقدرة و امتلاك السابق من تراث و احكام مسبقة لأسئلة تكشف الغطاء عن ما هو مهم في الحاضر، و تمكنه من استخراج المرثى انطلاقا من الحكم المسبق المحكم " ينبغي لفهم التأويل ان ينطلق من مسالة ان الفهم هو الوجود في علاقة مع الشيء نفسه، الذي يظهر مع التراث و عبره، اين يمكن للشيء ان يتصل بي من جانب اخر، ان الذي يحقق فهما تأويليا، عليه ان يتحقق من ان علاقتنا بالاشياء ليست علاقة بديهية دون ان تطرح بعض المشكلات اننا نؤسس نشاط التأويل على التوتر الكائن بين " الالفة و الخاصية الاجنبية لتعاليم و الدروس التي ينقلها الينا التراث^[xx]، انها مسالة تطبيق التراث على الراهن لإيجاد الحلم و علاوة عن شروط التأويل و المتمثلة في الحوار و الاحكام المسبقة و التراث و اللغة، و المحددة سالفا يطرح غدامير مسالة المنهج في العلوم الانسانية، فقد كرس دلتاي كل جهوده لتأسيس منهج العلوم الانسانية محايت لمنهج العلوم المادية الطبيعية لكنه فشل في اتجاه الصبغة العلمية للعلوم الإنسانية للتباين الموجود بين العلمين: لذلك يرى ضرورة إعادة النظر في مشكلة المنهج و ان يتغير فهمنا للمنهج فهو لا يتعلق بالحقيقة الموضوعية، كما زعم رواد النزعة الوضعية، بل ينبغي أن يأخذ الحسبان، التواصل و الحوار و دور التفاهم و التراث، و الحكم المسبق في إنتاج الحقيقة الإنسانية، التي تجعل منا كائنات إنسانية يجعلها التاريخ و

المصير المشترك، و تخضع لسلطة التراث بكل ما يحمله التراث من معنى " و على الرغم إن دلتي دافع بقوة عن استقلالية الابستمولوجية للعلوم الإنسانية، فان ما سمي " منهجا" في العلم الحديث بقي هو في كل مكان، و تكشف في شكل نموذجي خاص في العلوم الطبيعية ليس للعلوم الإنسانية منهج خاص بها"^[xxi].

و كخلاصة للبحث يمكن القول إن فيلسوف بقدر غدامير و بغنى أفكاره عمق طرحه لمسألة التأويل، لم يسلم من النقد سواء من هابرماس او من غيره، و هذه الانتقادات جعلت هؤلاء الفلاسفة يدخلون ضمن مجال قوي حول عدة مسائل منها مسألة اللغة، الحكم المسبق، و التراث من نعت غدامير من قبل هابرماس بالفيلسوف التقليدي المحافظ، و مع ذلك تمكن أهمية غدامير في كونه عمق فعل التواصل و أسس لعالمية اللغة، كحوار و كمشاركة لإنتاج الحقيقة الممزوجة بالتراث، و المؤسسة الوعي التاريخي و المنيرة الحاضر على ضوء تجربة الماضي. ان الهيرمينوطيقا الغداميرية حاولت إن تجد مسافة بين الحاضر و الماضي، بين المسبق و الراهن، و بين المألوف و الغريب، كما تمكن من فهم الكثير من الرموز الموجودة في التجربة الدينية التي مكنته من فك شفرات الثقافة الراهنة بناء على فهم رموز و شفرات التقاليد القديمة. و هذا ما جعل اللغة مصدر لعملية التأويل.

قائمة المصادر:

- هانز جورج غدامير، فلسفة التأويل ، الاصول، المبادئ، الاهداف، تر: محمد شوقي الزين، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، المركز الثقافي العربي، ط2، 2006.
- هانز جورج غدامير، الحقيقة و المنهج الخطوط الاساسية التأويلية فلسفية ، تر: حسين ناظم، و علي حاتم، مراجعة جورج كتوزة، دار اويا ، طرابلس ليبيا، ط1، 2007.
- قائمة المراجع:
- بارة عبد الغني ، الهيرمينوطيقا و الفلسفة نحو مشروع عقل تاويلي، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، 2008.
- بريسي عبد الله و اخرون:"هانس جورج غدامير فيلسوف التأويل تجاوز اعتبارات الوعي الإنساني" الفلسفة العربية المعاصرة. منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، الرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة، ط2013، 1 م، ص 1171
- الزين محمد شوقي ، "تأويلات و تفكيكا الفصول في الفكر العربي المعاصر"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002.
- سعد البازوغي و ميجان الرويلي: دليل الناقد الأدبي.
- شرفي عبد الكريم، " من فلسفات التاويل الى نظريات القراءة"، الدار العربية للعلم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007.
- صفدي مطاع ، استراتيجيات التسمية في نظام الأنظمة المعرفية، منشورات الانصاء القومي، بيروت-لبنان، ط1، 1986،
- غراندان جان: المنعرج الهيرمينوطيقا الفينولوجيا، ترجمة و تقديم: عمر مهيبيل ، منشورات الاختلاف ، الجزائر، ط1، 2007.
- مصطفى تروين و آخرون، التأويل و العلوم الإنسانية عند غدامير، ضمن كتاب التأويل و الترجمة، دار العربية للعلوم، ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، 2009.
- نقلا عن سواريت بن عمر:"التأويل و العلوم الإنسانية عند غدامير" ضمن كتاب فلسفة التأويل، المخاض و التأسيس و التحولات، ابن النديم للنشر و التوزيع دار الروافد الثقافية ناشرون ط1، 2013.

قائمة المراجع باللغة الأجنبية:

- p.Fruchan, hermeneutique, langage et anologie un discernement du platonisme chez H.G.Gadamer, essai , Paris 1989.
- WILHEM DILTHEY, Critique de la raison historique, trsylvie Mesure, Ed DU CERF ,Paris, 1992,